الثابت والمتغير في اللباس البدوي في الأطلس المتوسط منطقة إفران نموذجًا

د. لحسن تاوشيخت

أستاذ التعليم العالي

رئيس قطب تدبير المجموعات وخدمة العموم

المكتبة الوطنية – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

لحسن تاوشيخت، الثابت والمتغير في اللباس البدوي في الأطلس المتوسط: منطقة إفران نموذجًا.- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والعشرون؛ مارس ٢٠١٤. ص ٨٣ – ٩٢.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

تُعرف الشعوب ليس فقط من خلال درجة تقدمها العلمي والاقتصادي، وإنما أيضًا من خلال درجة المحافظة على أصالتها وخصوصياتها الثقافية. ويعتبر اللباس من المظاهر الجلية لهذه الهوية التي تدخل في نطاق ما يطلق عليه بالتراث الوطني، إلا أن هذه الهوية تتعرض باستمرار لعوامل التأثير والتغيير، مما يفقدها تدريجيًا طابعها الأصلي، وإذا كان اللباس البدوي في المغرب يُشهد له بالتميز والثبات أمام موجات الموضة؛ فإنه مع الأسف يعيش في الظل ولم يحظ بالعناية الكافية، سواء من حيث إدراجه في المقررات الدراسية، أو من حيث دمجه في مشاريع التنمية المحلية. وانطلاقًا من هذا المعطى أصبح لزامًا أن ينال هذا الصنف من التراث الوطني ما يستحقه من اهتمام، وذلك بضرورة المحافظة عليه وبدعم البرامج المهتمة به والتي تدخل ضمن السياحة الثقافية والدراسات الجامعية والأفلام السينمائية وغيرها، وأيضًا بتوظيف وإدماج هذا التراث في مسار التنمية وبخلق تخصصات ومسالك بحثية تهتم بالتراث المغربي عامة سواء المادي منه أو اللامادي.

مُقَدِّمَة

يعتبر اللباس من أهم مظاهر الحضارة المادية، فهو المرآة التي تعكس أحوال المجتمع وأوضاعه ومستوى عيشه من جهة، ومن جهة ثانية تدل على صورته الواقعية من حيث الانعزال أو الانفتاح، من حيث المحافظة أو التجدد والاقتباس، كما تشهد على الوضعية الاقتصادية من خلال تطور وسائل الإنتاج والمواد والتقنيات المستعملة ودرجة استهلاكها. واللباس يوضح لنا إضافة إلى هذا جوانب من السلوك النفسي الظاهر والباطن للإنسان، ويرمز في اختلافه إلى صنف العيش والجنس والسن والذوق، ويفتح آفاقًا واسعة للتحليل الأنثروبولوجي والسيميائي.

وتبرز أهمية دراسة اللباس البدوي من خلال تقاطعه مع عدد من التخصصات المهمة والمتطورة كتاريخ الفن وعلم الآثار والاثنوغرافيا والسينما وصناعة النسيج والسياحة... وغيرها. ويعتبر اللباس البدوي المغربي من العادات والتقاليد الموغلة في الزمن، منها من لا يزال يحافظ على أهم خصائصه ومنها من أدخلت عليه تغييرات جديدة تبعًا لتطور الذوق ووسائل الإنتاج ومنها لنفس هذه العوامل اختفت ولم يعد لها وجود إلا في الذاكرة الشعبية.

إن هذه الدراسة التي تحاول أن تلم بخصوصيات اللباس البدوي بالأطلس المتوسط وتحديدًا بمنطقة إفران من حيث الثابت منها والمتغير، من شأنها المساهمة في تأثيث الفضاءات التاريخية والسياحية بإرث لن يكون فيه الماضي إلا حاضرًا بتجلياته البراقة والساحرة. كما أن الدراسة ما هي إلا مقدمة ستشكل ولا شك حافزًا لفنانينا على استلهام عناصر الإبداع من هذا التراث المهدد بالاندثار، كما أنها توفر مادة توثيقية للأعمال السينمائية ولإقامة معارض أو متاحف اثنوغرافية.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية

ISSN: 2090 – 0449

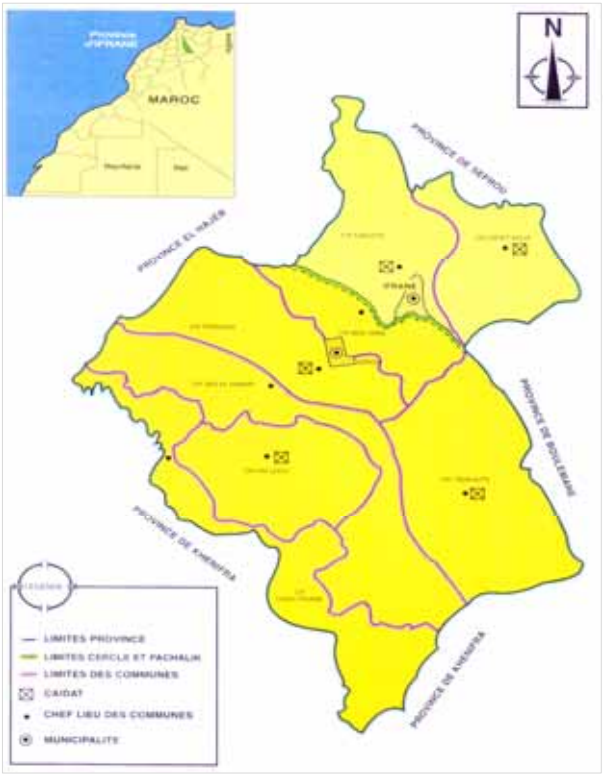

الخريطة الإدارية لإقليم إفران

Source: La Province d'Ifrane: *Monographie de la Province d'Ifrane* 1998. Rabat, Imprimerie de la Tour 1998 (P.10)

أولاً: المعطيات البشرية

يجهل على وجه التحديد ضبط قدم الاستقرار البشري في منطقة الأطلس المتوسط وفي إفران على وجه الخصوص، وتعود أقدم المؤشرات إلى فترة العصر الحجري الحديث ويدل على ذلك مجموع الكهوف المنتشرة في المنطقة وخاصةً على جانبي وادي تزكيت، فضلاً عن بقايا المواقع الأثرية مثل زروقة، غابة البحر، أقشمير، وضاية عوا. ولعل المعنى الدلالي لاسم إفران باعتباره استنبط من كلمة أمازيغية إفري: (كهف) وجمعها إفران: (كهوف) يذهب في نفس الاتجاه. الإشارات الأولى عن نوعية العناصر البشرية المستقرة في المنطقة جاءتنا من المصادر اللاتينية التي ذكرت أن الرومان في موريطانيا الطنجية وخاصةً في وليلي كانوا يتعاملون مع صنف من السكان المحليين أطلق عليهم اسم البكوات.[1] ومنذ الفتح الإسلامي وفدت على المنطقة كمستقرين أو عابرين عدة قبائل من أهمها بني يفرن الزناتيين وصنهاجة بفروعها الثلاثة الكبرى: بني مطير، وبني مكيلد، وآيت سغروشن. ومنذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وصل عرب الخلط وبني مالك سفيان وامتدت مواطنهم لتشمل المجالات الحيوية للقبائل الصنهاجية والزناتية بين مدينتي فاس ومكناس، وبين مدينة فاس والأطلس الكبير وبأزغار. وابتداءً من منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي عادت المجموعة الصنهاجية إلى الواجهة السياسية، فتحركت نحو الشمال، ولم يحد من تحركاتها إلا سلسلة القلاع والحصون التي قام السلطان مولاي إسماعيل بتشييدها ومنها قصبتي أزرو، وعين اللوح والتي شكلت النواة للمراكز الحضرية الأولى في المنطقة.

ومنذ بداية القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي ظلت العناصر الصنهاجية هي المسيطرة على المجال المحلي وخاصةً الرعوي. وهكذا عبرت موجات بشرية أخرى تنتمي لقبيلة بني مكيلد وادي ملوية واجتازت مجالات بني مطير لتصل إلى تكريكرة عند مشارف مدينة أزرو، ليشمل امتدادها غابات الأرز والهضاب العليا لبقريت، فأصبحت مواطنها تمتد ما بين مثلث أزرو -عين اللوح - تمحضيت. أما بني مطير فانتهى بهم الأمر بالاستقرار ما بين مدينتي إفران والحاجب، في حين فضلت قبيلة آيت سغروشن المقام ما بين مدينتي إفران وبولمان. وقد انقسمت هذه القبائل الثلاثة بدورها تبعًا للتطور التاريخي والنمو الديمغرافي إلى الأفخاذ التالية:[2]

القبيلة	الفخذ	مكان الاستقرار
بني مكيلد الشمال	- آيت عرفة كيكو - إركلاون - آيت عبدي - آيت مولي - آيت واحي - آيت لياس - آيت امحمد أولحسن - آيت مروال	تمحضيت إركلاون عين اللوح " " " " "
بني مطير الجنوب	- آيت حماد - آيت أورتيندي - آيت عبد السلام	تزكيت
آيت سغروشن	- آيت يدير - آيت داود أو موسى - الحجاج	ضاية عوا

وابتداءً من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي انضافت إلى هذه الأفخاذ عناصر بشرية أخرى كعرب المعقل، والشرفاء، وآيت غريس الذين استقروا بالخصوص بأزرو، ثم آيت خباش بكيكو.

صفوة القول؛ أن هذا الخليط البشري الذي استوطن منطقة إفران لعب دورًا مؤثرًا في تاريخ المغرب الأقصى وقام بتأطير أو بالحد من وعيه السياسي العديد من الحركات والزوايا كالدرقاوية، والتيجانية، والقادرية، والكتانية، والتي لازالت الكثير من فروعها منتشرة إلى اليوم في مجموع ربوع المنطقة. وإذا كان من المعروف أن بلاد المغرب الأقصى عامة والأطلس المتوسط بالخصوص وتحديدًا منطقة إفران، قد شهدت تأثيرات متبادلة في نمط العيش واللباس بفعل التفاعل البشري المتعدد الأجناس والتقاليد، فإنه سيكون من المغامرة التمييز في نوعية اللباس بين ما هو محلي وما هو مقتبس من الحواضر والبوادي المجاورة، وبين ما ينتمي لحضارة أخرى قد

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

تكون مجاورة أو بعيدة. ومع كل ذلك، فإن ما يجمع هذه المؤثرات أنها قابلة للتدجين ولا يمكن فصلها عن الواقع المعاش المحلي وعن الظروف المناخية المحيطة به.

ثانيًا: المواد الأولية والتقنيات المستعملة

ترتبط صناعة الملبس ارتباطًا وثيقًا بتوفر المواد الأولية سواء ذات الأصل النباتي أو الحيواني. وشكل الصوف أهم مادة حيوانية في منطقة إفران باعتبار نمط العيش السائد المعتمد على الرعي والترحال، وظلت جبال فزاز [الأطلس المتوسط] تحتل المرتبة الثانية في المغرب في تربية الماشية خلال مختلف العصور وإلى يومنا هذا. أما بالنسبة للجلد فبالرغم من توفره، فقد بقي استعماله جد محدود في صناعة اللباس وهم بالخصوص صنع الأحذية والأفرشة وسروج الخيول. أما الكتان والقطن والحرير فيتم استيرادها وخاصةً من مدينة فاس التي كانت بمثابة قطب الصناعة النسيجية في المغرب إلى وقت قريب. ويذكر الحسن الوزان[٣] أن منطقة الأطلس المتوسط كانت مشهورة بزراعة الكتان. بالنسبة للأصباغ والمواد الملونة والتي يتم اقتناءها من مدينتي فاس ومكناس، فيمكن ذكر أهمها في ما يلي:

- النيلة أو النيلج الذي يعطي للمنسوجات لونًا أزرقًا باهتًا.
- لحاء شجر الجوز الذي يستخدم للحصول على اللون الأسود.
- نبات العلك "تكاوت" الذي يستعمل للحصول على اللون الأحمر وكذا في دباغة الجلود.
- الشب لتبييض ودلك وصقل الأقمشة.

كما تتجه نساء المنطقة في الغالب إلى اعتماد مواد ونباتات محلية للحصول على بعض الأصباغ ومنها:

- البقايا المعدنية كصفائح الخيل والسلاسل القديمة التي توضع في وعاء خاص وتعرض للغليان إلى أن تتحلل المواد العالقة، ثم تضاف إليها الصوف الذي يتم إشباعه وتعريضه للشمس، ثم يجفف ويعطي صباغة زرقاء، وللحصول على صباغة سوداء يتم استبدال الماء وتعريض المواد المعدنية للمزيد من الغليان قبل أن تخلط بالصوف وتجفف بأشعة الشمس.
- ألزاز: وهو نبات محلي يستعمل مع البقايا المعدنية بنفس الطريقة السابقة للحصول على اللون الأصفر.
- تنويت: وهي قشور جذور شجر البلوط "الكروش" وتستخدم للحصول على اللونين الأحمر والأسود.
- المسواك أو السواك ويستخرج من قشور شجر الجوز ويستعمل للحصول على اللونين الأحمر والبني.

وبصفة عامة فمختلف هذه المواد تخضع لعمليات التقصير والتبييض والدعك والتخضيب والأكمدة وغيرها من الطرق الملازمة قصد الحصول على الحياكة والأصباغ المناسبة. فالصوف مثلاً كان يتم في المنازل، وتقوم به النساء سواء للاستعمال المنزلي أو للمتاجرة به. فصاحب الغنم يقوم بجز صوف الغنم، ويبيع جزءًا منه لشراء حاجيات الأسرة، بينما تنسج النساء الباقي لتبيعه أو لتحتفظ به للضرورة. وكانت معظم المنازل تتوفر على أدوات غزل الصوف كالمغزل والمكب والنير والمنسج والمشط والنول أو المنوال، وتتعلم الفتيات الغزل منذ الطفولة ليكون حرفة لهن عندما يكبرن وكوسيلة لمحاربة الروتين اليومي والبطالة، وأيضًا للمساهمة في مصاريف الأسرة. كما كانت النساء البدويات بمنطقة الأطلس المتوسط يجدن معالجة المواد الخام من خلال غسلها وندفها وغزلها خيوطًا تكون السدى قبل أن تنصب المنوال ووضع النير وهي الخشبة المعترضة في المنسج لتبدأ عملية تلحيم الغزل. واعتبارًا لهذه المهارة المكتسبة والمنتقلة عبر الأجيال، تمكنت معظم الأسر المحلية من توفير ما تحتاجه من ملابس وأغطية وأفرشة وخيام.

ثالثًا: لباس المرأة

يتميز اللباس التقليدي للمرأة البدوية في منطقة إفران بكونه يحاول أن يوفق بين متطلبات الزينة من ملبس جميل وحلي نفيسة ووشم تعبيري، وبين إكراهات الظروف المناخية المحلية. وعمومًا يمكن التمييز في هذا اللباس، من هامة الجسد الأنثوي إلى أخمص قدميه، ما بين الأصناف التالية:

١/٣- لباس الرأس:

تسبنيت [السبنية]: يعود اسم السبنية[٤] ربما إلى نوع من الأقمشة التي كانت تصنع في مدينة السبان - قرب بغداد في العراق- إلا أنها في المغرب تعني صنف من غطاء الرأس يصنع من الحرير ومزين بأهداب من جوانبه الأربعة، وهو غطاء يميز نساء الأطلس المتوسط عامة.

صورة رقم (١)

تسبنيت

أشتان [الدارة]: قطعة من الثوب الأبيض يستعمل كغطاء للرأس ولكنه يخلو من الأهداب ومن كل تزيين.

أعصاب [العصابة]: عبارة عن شريط من الثوب قد تزين أطرافه بأهداب، ويستعمل لحزم الرأس من فوق السبنية.

تاوشايت [الحجاب]: نوع من الحجاب على شكل نقاب تحمله العروس خلال حفلة الزفاف.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

٢/٣- لباس البدن:

أتفاس أو إشبر [التشمير]: يجهل أصل لفظ أتفاس المتداول بين قبائل بني مكيلد وبني مطير، بينما يمكن اشتقاق لفظ إشبر الذي تستعمله قبيلة آيت سغروشن من الكلمة الأمازيغية "أشابير" التي جاءت بدورها من كلمة التشمير التي ذكرها الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كلباس خاص بالأتراك حيث قال "ولباسهم التشمير".[٥] كما يمكن لكلمة التشمير أن تكون قد حرفت عن كلمة قميص المشتقة من الكلمة اللاتينية (Camisia) ويقال في اللغة العربية شمر الثوب بمعنى رفعه، وتشمر بمعنى مر جادًا أو مختالاً، والمشمر هو المجد. وعلى كل فأتفاس لباس قديم وهو عبارة عن قميص أبيض طويل مفتوح على الجانب الأيمن بشكل مستقيم وله كمين طويلين وفتحة على الصدر. وقد تطورت طريقة تفصيله، حيث أصبح أكثر اتساعًا، ويستعمل من القطن أو الكتان وأحيانًا من رقيق الصوف لكونه من الملابس الداخلية.

الدفينة: أصلها من الكلمة العربية "دفن" وهو لباس يتخذ من نسيج شفاف يظهر من تحته القفطان زاهيا بألوانه وزخرفته، فلا تبرز الدفينة بشكل بارز وإنما تتناسق مع لباس القفطان، ومن هنا يحتمل اشتقاق أصل هذه التسمية. والدفينة تشبه إلى حد ما الفرجية أو المنصورية وغايتها التخفيف من توهج بريق القفطان.

صورة رقم (٢)

نوع من الدفينة عند قبيلة آيت سغروشن

القفطان: لفظ تركي يرجع أصله إلى الكلمة الفارسية "خفتان"، وهو من الألبسة المستحدثة في المغرب الأقصى والمقتبسة عن الأتراك خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ومن المحتمل أن يكون دخل إلى المغرب منذ العصر المريني.[٦] يتميز القفطان بنسيجه الرفيع من الحرير وكثافة التطريز والزخرفة، ويعتبر من لباس المناسبات وكان يحتكره الرجال في أول الأمر قبل أن يشاع استعماله عند النساء. ولأنه لباس مكلف خاصةً وأنه يصنع من الحرير والمخمل [القطيفة] ويظفر بالشرائط [السفيفة]، فقد كان القفطان في البداية لا تقتنيه إلا نساء الأعيان، قبل أن يصبح عامًا ومن الأزياء التقليدية المغربية، تبرز به العروس في حفل الزفاف ويتخذ في الأعراس. وتعددت أنواع نسج القفطان وتفاصيل خياطته حسب الدوق والموضة، وعمومًا فهو طويل من الأمام ومغلق بأزرار تزينه.

الإزار: لفظ يستعمل في اللغة العربية ويعني قطعة مستطيلة من القماش يتراوح طولها ما بين (٤) و(٦) أمتار ولا يقل عرضها عن المتر والنصف، ويبقى القياس مختلفًا حسب الذوق والبنية الجسمية للمرأة، كما أن نسيجها يتنوع تبعًا لاختلاف الفصول والمناطق من الحرير ورقيق الصوف إلى الكتان ووصولاً إلى القطن وغليظ الصوف. وهذا اللباس موغل في القدم ويتميز بانتشاره الواسع وهو أصل كل الملبوسات الخارجية، ويشبه إلى حد كبير الرداء الذي كان يلبسه الرومان القدامى والمعروف بـ (la toge) والذي كان معروفًا في مجموع الشمال الإفريقي. وتتنوع تفاصيل لف الإزار على الجسد، فهو إما يلبس مباشرةً فوق الجسد أو يتخذ فوق التشمير والقفطان خلال المناسبات، وفي الحالة الأخيرة يكون نسيجه من الحرير الشفاف والمزخرف. وفيما يلي مراحل لف الإزار عند نساء الأطلس المتوسط حسب جون بيزانصونو.(Jean Besancenot).[٧]

صورة رقم (٣)

مراحل لف الإزار

- يتم ثني الإزار من ناحية الطول حسب الطول المرغوب فيه، ثم يمرر طرف منه على الكتف الأيسر ليثبت بواسطة رابطة من الثوب على الجانب الأيسر،
- يستعان بمشبكين من الفضة "تسغناس" حيث تغرسان في الجزء الخلفي من الثوب لتثبيته بنفس الشكل على الجزء الأمامي، بينما يحتفظ بالطرف المتبقي للذراع الأيمن،

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

- يلف الباقي من الإزار فوق الرأس وتحزم المرأة الإزار عند الخصر داخل الحزام، بينما تسدل ذيول الإزار في الأسفل حيث يتم تسويته وإحكام تثبيته،
- يمكن للإزار – حسب التقاليد – أن يكون طويلاً إلى القدمين أو قصيرًا إلى نصف الساق فقط،
- يمكن للمرأة أن تستعين بالجزء الخلفي من الإزار فوق الحزام سواء لحمل طفلها أو أشياء أخرى.

تميزارت، تحنديرت، تعبانت [الحنديرة]: تميزارت تحريف لكلمة الإزار، بينما تشتق تحنديرت من كلمة الحنديرة، وكلاهما من الألبسة البدوية بالمنطقة على شكل قطعة مستطيلة من نسيج الصوف الأبيض، يصل طولها مترين أو أكثر، ويبلغ عرضها متر وثلاثين سنتمترًا أو أكثر. يلبس هذا اللباس فوق جميع الملابس، حيث يوضع على الكتفين ويثبت أسفل الذقن بواسطة شريط يطلق عليه بالأمازيغية "تسقين" أو "تسريفت" [السريفة]، ويمكن أن يمرر جزء منه أسفل الكتف الأيمن ويشد في مقدمة الصدر حتى تتمكن المرأة من القيام ببعض الأعمال اليدوية. تمثل تميزارت هوية قبلية، إذ تختلف أشكال زخرفتها من قبيلة إلى أخرى، فهي لدى قبيلة بني مكيلد مزينة بسبعة أسطر مستقيمة ورسومات هندسية تسمى "تفنزارت" أو إيلقدن" [الزواق] تنتهي بأهداب من جهة العرض تعرف بـ "إيبران". ومن ناحية الظهر تزين بشرائط من "أشكَوكَ" وهي بقايا "إيلقدن"، ويتم حاليًا إضافة الموزون كعنصر تزيين آخر. ولهذا اللباس طقوس احتفالية خاصة بالأطلس المتوسط، إذ لا تستغني عنه النساء في جميع المناسبات، وتلبسه فوق القفطان الذي يعتبر أرفع لباس، كما أنه يفي بأغراض الستر والحشمة. أما تعبانت فهي عبارة عن رداء ينسج من الصوف الغليظ الملون ولكنه يخلو من كل زخرفة أو من الأهداب، وترميه النساء على الكتفين بدون أن تشده بشريط، وتلبس في الغالب للوقاية من البرد.

صورة رقم (٤)

تحنديرت عند نساء آيت أورتندي [الواجهة الخارجية]

صورة رقم (٥)

تحنديرت عند نساء آيت أورتندي [الواجهة الداخلية]

صورة رقم (٦)

امرأة من آيت مولي بعين اللوح في لباسها اليومي

حسب لوحة لجون بزانصونو

(1939-1934 Jean Besancenot)[٨]

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

صورة رقم (٧)
امرأة من آيت أورتيندي وهي تلبس تحنديرت

أسروال [السروال]: تحريف لكلمة السروال[٩] وهي لفظ مشتق من الفارسية القديمة "زراوالو"، أو الفارسية الحديثة "شلوار" ويمكن اعتبار استعماله في البادية الأطلسية حديث العهد ولا يتجاوز طوله نصف الساق وقد يتسع في الأعلى ويضيق في الأسفل. وقد تطورت طرق تفصيله وخياطته حسب الذوق وحسب نوعية المنسوج كالصوف والكتان والحرير والقطن.

٣/٣- لباس القدمين:

إكوربين [الشربيل]: إكوربين كلمة أمازيغية تستعملها أغلب القبائل للتعبير عن الشربيل الذي يعتقد أنه كلمة إسبانية (Servilla) والمشتقة من (serva-servia) وتعني الخادمة أو الأمة وذلك لشيوع استعمال هذا النوع من الحذاء من طرف الإماء، كما يمكن أن تكون الكلمة تحريفًا للفظ "الزربول" التي كانت تطلق في القسطنطينية في تركيا على نوع من الأحذية الخاصة بالعبيد. والمهم أن إكوربين يصنع من نعل (فراش) واطئة من الجلد مزين في الأعلى بنسيج من المخمل المطرز بخيوط مذهبة أو بالحرير أو الجلد الملون. وكان الشربيل شائع الاستعمال في الأندلس خاصةً في مدينة غرناطة ومنها حملته الهجرات الأندلسية إلى مدينة فاس قبل أن ينتشر في مختلف ربوع المغرب.

صورة رقم (٨)
إكوربين[١٠]

إيبوركسن [البلغة]: نوع من النعال يصنع فراشها ووجهها من الجلد الذي يتخذ عدة ألوان مثل الأبيض والأحمر والأصفر وقد يزين ببعض الحزوز والرسومات الهندسية. يعتقد كذلك أن البلغة جاءت من الأندلس وتلبسها خاصةً النساء المتقدمات في السن عكس الشربيل المخصص للعروس وللمرأة الشابة.

تبربيشت أو الريحيت [الريحية]: نوع من النعال المزركشة، فراشها من الجلد وكساؤها خليط من الجلد والصوف، تلبس إلى الكعبين وتعد من أحذية المناسبات.

صورة رقم (٩)
تبربيشت[١١]

ترغوين [الطرابق]: كان سكان المنطقة في الأصل يلفون أرجلهم وسيقانهم بخروق من الصوف للحماية من الثلج والبرد القارس قبل أن يتعرفوا على الطرابق التي هي نوع من الجوارب الصوفية والتي ربما انتقلت من مدينة فاس وتحت تأثيرات أندلسية إلى المناطق الأطلسية. وهي جوارب تلبس إلى حدود الركبتين وتصنع من طرف النساء أو الرعاة وتتميز بوجود زخارف من الألوان الزاهية على شكل مربعات أو مثلثات أو معينات.

صورة رقم (١٠)
ترغوين[١٢]

رابعًا: لباس الرجل

إذا كانت في سابق العصور، إمكانيات الحصول على المسكن اللائق والقوت الكافي والملبس الوفير غير متوفرة لغالبية سكان المغرب وخاصةً بالبادية، فقد كانت عادة الرجل ببادية الأطلس المتوسط الظهور بالزي الذي يعبر عن الشهامة والنخوة ومهما غلى ثمنه وبعُد موطنه. وهكذا تنوع الذوق بين ما هو مقتبس من تقاليد انفردت بها الحواضر الكبرى وبين ما هو محلي يحاول أن يحافظ على خصوصيات المنطقة.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

١/٤- لباس الرأس:

الرست أو الرزة [العمامة]: الرست تحريف لكلمة الرأس بالعربية، وفي الأصل كان الأمازيغ حليقي الرؤوس ولا يضعون فوقها أي غطاء وفي هذا يذكر الحسن اليوسي مقولته المشهورة "لو رأى أرسطو قدر البرنس في اللباس والكسكسون في الطعام والحلق بالموسى لأعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك."[١٣] وقد ساهمت الهجرات العربية في نقل تقاليد العمامة إلى المغرب الأقصى منذ بداية الفتوحات الإسلامية، فاتخذت الرزة عدة أشكال وصنعت من أنسجة متنوعة كالصوف والحرير. أطلق عليها أحيانا لفظ "الكرزية" المشتقة من الكلمة الأمازيغية "تكرزيت"، وهي عبارة عن قطعة مستطيلة تلف حول الرأس بطرق مختلفة.

أحزام: لفظ أمازيغي مشتق من الكلمة العربية "حزم"، وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من النسيج تلف حول الرأس مرتين أو ثلاث مرات ويتلثم بالباقي، يتخذها العريس في حفل الزفاف للتعبير عن نوع من الحياء والخجل.

٢/٤- لباس البدن:

أتفاس [التشمير]: عبارة عن قميص أبيض اللون، طويل، مفتوح على الجانب الأيمن بشكل مستقيم، ويربط من الناحية الموالية للكتف بشريط يطلق عليه "تسريفت" [السريفة]. ويصنع أتفاس من الكتان أو القطن أو أحيانًا من رقيق الصوف لكونه من الملابس الداخلية.

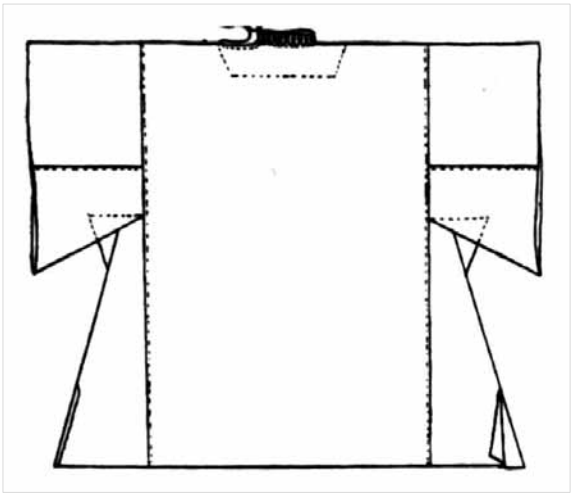

رسم رقم (١)
أتفاس [التشمير][١٤]

أسروال [السروال]: عبارة عن ثوب يلبسه الرجل من السرة إلى الأسفل وقد يطول إلى نصف الساق أو أكثر وقد يتسع في الأعلى ويضيق في الأسفل. يتخذ من الصوف والكتان والقطن والحرير، ويلبس غالبا تحت تجلابيت "الجلابة".

رسم رقم (٢)
رسم لشكل السروال من الأمام[١٥]

رسم رقم (٣)
السروال من الخلف[١٦]

توندیت أو تبدعيت [البدعية]: وهي لباس معروف في إفريقيا الشمالية، قد يكون لفظ "توندیت" تحريفًا لكلمة "تبدعيت" المشتقة من لفظ "البدعية" الذي اختلف حول أصله هل جاء من "البدع" وتعني الغاية في كل شيء أم من فعل "أبدع"، وفي ذلك إشارة إلى أنه لباس مبتدع أو جديد. وتبدعيت عبارة عن صدرية بدون طوق ولا كمين ولا يتجاوز أسفل السرة، وشكل هذا اللباس أحد عناصر كسوة البحارة وخاصةً في مدينة سلا خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. اقتبست قبائل بني مكيلد، وبني مطير، وآيت سغروشن هذا اللباس ومهرت النساء في نسجه من الصوف، وأضفي عليه طابع محلي وتحول من لباس بحري إلى لباس للرعاة والمزارعين، وكان يلبس فوق التشمير للحماية من البرد القارس.

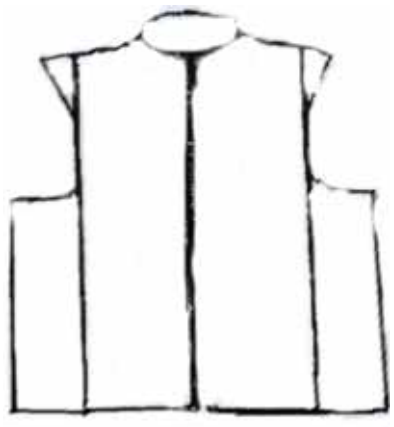

رسم رقم (٤)
توندیت [البدعية]

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

تفراجيت [الفرجية]: تفراجيت كلمة مشتقة من الكلمة العربية "الفرجية"[١٧] ذات الأصل التركي حيث عرفت قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. وتعني لباس يتخذه القواد والأعيان فوق القفطان، وقد استورده السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي وأعطاه اسم "المنصورية" أو "المنصور". تتخذ الفرجية نفس شكل القفطان مع كمين طويلين وعريضين ومفتوحين في الأمام إلى الحزام وتسد بأصداف مصنوعة من خيط الحرير الأبيض. وتعني الفرجية في الأطلس المتوسط قميصًا من نسيج رقيق سواء من القطن أو الصوف مع وجود فتحة من الأمام.

صورة رقم (١١)
تفرجيت آيت سغروشن

تجلابيت أو تقبوط [الجلباب]: يعتقد أن أصل لفظ "تجلابيت" مشتق من الكلمة الأمازيغية "ثلبج" وتعني اللباس، وقد تكون من الكلمة العربية "جلباب" التي تعني القميص. لم يكن هذا اللباس شائعًا سوى في المغرب الأقصى ومنه انتقل إلى بلاد الأندلس، حيث أدخلت عليه عدة تغييرات. وفي الأصل كانت "تجلابيت" لباسًا للعامة والفقراء وممتهني الحراسة فضلاً عن الفقهاء والمرابطين والصلحاء، قبل أن يصبح لباسًا وطنيًا مختصًا في المغرب، ومن ثَمَّ تطورت فنون صناعته وأصناف تفصيله. اتخذته قبائل الأطلس المتوسط من نسيج الصوف وبلونين توفرهما المادة الخام وهما الأبيض والأسود، وهو لباس طويل يحيط بالجسد مع غطاء للرأس وكمين طويلين، ويعتبر خاصةً من أزياء فصل الشتاء.

صورة رقم (١٢)
تجلابيت[١٨]

أزنار أو أسلهام [البرنس أو السلهام]: يجهل أصل هذه الكلمة، يمكن أن تكون قد اشتقت من الكلمة العربية "اسلهم" وتعني تغير، ومنها انتقل إلى اللغة الإسبانية ليعرف تحت أسماء (zorame, zurame, zulame). والسلهام عبارة عن لباس مفتوح ينسج قطعة واحدة مع غطاء للرأس، يبتدئ متسعًا وينتهي ضيقًا، ويعد من الألبسة القديمة في المغرب، وعُرف بعدة أسماء أكثرها شهرة وتجدرًا لفظ "البرنس". وذهب ابن خلدون في كتابه العبر إلى اعتماد لفظ البرانس مقابل البتر للتمييز بين قبائل المغرب المستقرة كزناتة وتلك المتنقلة كصنهاجة، كما يورد في سياق حديثه عن لباس الأمازيغ أنه يتكون من"البرانس الكحل، ورؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق."[١٩] ويذكر الحسن اليوسي في كتاب المحاضرات: "لو رأى أرسطو قدر البرنس في اللباس والكسكسون في الطعام والحلق بالموسى لأعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك."[٢٠] ويشير الإمام مالك بن أنس نقلاً عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي (ﷺ) نهى عن اتخاذ البرنس في الإحرام للحج، فقد جاء في الحديث الشريف: "لا تلبسوا القميص ولا العايم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نعلين."[٢١] وإذا كان البرنس قد ذكرته المصادر القديمة في المشرق والمغرب، وشبهه البعض باللباس الروماني وبلباس الرهبان المسيحيين، فإنه أصبح فيما بعد مقتصرًا على بلاد الغرب الإسلامي، بل وشكل اللباس الوطني للمغرب الأقصى، واتخذ عدة أسماء أخرى مثل "الزنار"، "الهدون"، و"الحيدوس" أو الخيدوس". ويعتبر السلهام لباسًا للمناسبات وللوقاية من البرد، وقد هم هذا اللباس مختلف شرائح المجتمع وعرف انتشارًا جغرافيًا واسعًا. وإذا كانت العامة تنسجه من الصوف الخشن ومن الكتان، فإن الفئات الميسورة اتخذته من رقيق الصوف والحرير والملف والديباج.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

صورة رقم (١٣)
أزنار [السلهام] محلي من الصوف

بجادور [الجبادور]: الكلمتان تحريف للفظ "الجاباضولي" الذي يعتقد أنها مشتقة إما من كلمة فارسية أو تركية جرى تداولها في المغرب الأقصى منذ القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وتعني في الأصل نوعًا من الصدريات المفتوحة (gilet ouvert)، قبل أن تصبح تدل على نوع من القفاطين الرجالية اختص بها الأعيان من رجال السلطة كالقواد والباشوات. والباجادور عبارة عن لباس طويل وضيق مقارنة مع القفطان، تزينه شرائط مضفرة وأزرار متراصة من النسيج الذهبي، ولا يلبسه في الأطلس المتوسط إلا الفئات الاجتماعية الميسورة أو التي لها نفوذ في الهرم السلطوي.

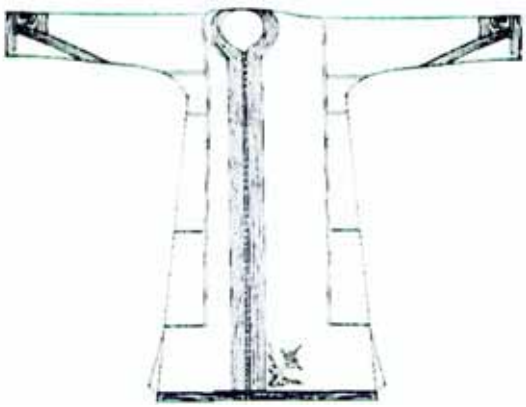

رسم رقم (٥)
البجدور

٣/٤- لباس القدمين:

أهركاس [النعل]: أهركاس كلمة مشتقة من اركاسن وتعني بالأمازيغية البلغة، وهي نوع من النعال تصنع في الأصل من الحلفاء ولها فراش من جلد رديء، وتفيد لدى ساكنة مدينة فاس النعال القديمة المتلاشية. يتخذ فراشها في الغالب من جلد البقر أو الجاموس، لها سيور من الدوم أو الجلد ويلف عليها خرق من الصوف في فصل الشتاء للوقاية من شدة البرد.

رسم رقم (٦)
أهركاس[٢٢]

إيدوشا: هي كذلك نوع من النعال لها فراش من المطاط المستخرج من بقايا عجلات السيارات، ولها شرائط من الأعلى تصنع من القنب أو الدوم أو الحبال.

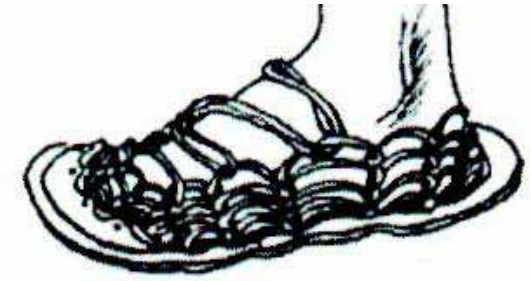

رسم رقم (٧)
إيدوشا[٢٣]

تبربيشت أو سباید [الربحية]: وهي أيضًا نوع من النعال المزركشة، لها فراش من الجلد وكساء من الجلد والصوف، تلبس إلى الكعبين وقد تطول إلى نصف الساق، وتتخذ لركوب الخيل عند قبائل بني مكيلد.

رسم رقم (٨)
تبربيشت[٢٤]

تبوركسين [البلغة]: صنف أخر من النعال لها فراش وكساء من الجلد، انتقلت إلى المغرب من الأندلس وإلى منطقة الأطلس من مدينة فاس، وتعد من لوازم اللباس الوطني.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

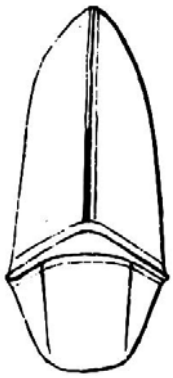

رسم رقم (٩)
البلغة[٢٥]

رسم رقم (١٠)
تيبوركسن[٢٦]

خاتمة

تُعرف الشعوب ليس فقط من خلال درجة تقدمها العلمي والاقتصادي، وإنما أيضًا من خلال درجة المحافظة على أصالتها وخصوصياتها الثقافية. ويعتبر اللباس من المظاهر الجلية لهذه الهوية التي تدخل في نطاق ما يطلق عليه بالتراث الوطني، إلا أن هذه الهوية تتعرض باستمرار لعوامل التأثير والتغيير، مما يفقدها تدريجيًا طابعها الأصلي، وإذا كان اللباس البدوي في المغرب يُشهد له بالتميز والثبات أمام موجات الموضة، فإنه مع الأسف يعيش في الظل ولم يحظ بالعناية الكافية سواء من حيث إدراجه في المقررات الدراسية أو من حيث دمجه في مشاريع التنمية القروية، وانطلاقًا من هذا المعطى أصبح لزامًا أن ينال هذا الصنف من تراثنا الوطني ما يستحقه من اهتمام وفق المقترحات التالية:

- ضرورة المحافظة على هذا التراث الذي لا زالت العديد من البوادي المغربية تعتز به وتعتبره أحد مكونات شخصيتها، وذلك بدعم البرامج المهتمة به والتي تدخل ضمن السياحة الثقافية والدراسات الجامعية والأفلام السينمائية وغيرها.
- توظيف وإدماج هذا التراث في مسار التنمية المحلية.
- خلق تخصصات ومسالك داخل الجامعة تهتم بالتراث المغربي الغني والمتنوع.

الهوامش:

(1) Boughaz (H): *Recherches sur l'évolution des structures tribales en Mauritanie Tangitane de la fin du Royaume au III° siècle*. Université Paris I, Thèse du Doctorat ès Lettres, 1994.

(2) La Province d'Ifrane : *Monographie de la Province d'Ifrane 1998*. op-cit (P.16).

(٣) الوزان (محمد بن الحسن الفاسي): **وصف إفريقيا**.

(٤) أورد ابن بطوطة هذا الاسم في رحلته المشهورة. الطبعة الأخيرة. الجزء الرابع (ص ١٤٢).

(٥) الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودي الحسني الشريف): **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**. بيروت، عالم الكتب. الجزء ٢ الطبعة الأولى ١٩٨٩ (ص ٧٢٢).

(٦) أورده ابن بطوطة في رحلته المشهورة، الطبعة الأخيرة، الجزء الأول. (ص ٣٥١).

(7) Besancenot (Jean): *costumes et types du Maroc*. Paris, éditions des Horizons de France 1940 (planches B: 1-5).

(8) Besancenot (Jean): op-cit (photo)

(٩) أورده ابن بطوطة في الرحلة، الطبعة الأخيرة، الجزء الثاني (ص ١٨٦، ١٩٩، ٢٨٢ و٤٤٥) والجزء الرابع (ص ٤٣١ و٤٤٣).

(10) Besancenot (Jean): op-cit (planche E : 6).

(11) Besancenot (Jean): op-cit (planche E : 1).

(12) Besancenot (Jean): op-cit (planche E : 2).

(١٣) اليوسي (الحسن بن علي): **المحاضرات**. الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٦ (ص ٨٠).

(14) Besancenot (Jean) : op-cit (planche C :1).

(15) Besancenot (Jean) : op-cit (planche C 6).

(16) Besancenot (Jean) : op-cit (planche C 7).

(١٧) أورده ابن بطوطة في الرحلة، الطبعة الأخيرة، الجزء الرابع (ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ ٢٧٨).

(18) Besancenot (Jean) : op-cit (photo).

(١٩) ابن خلدون (عبد الرحمن): **المقدمة**.

(٢٠) اليوسي (الحسن بن علي): مصدر سابق (ص ٨٠).

(٢١) الإمام مالك بن أنس: **الموطأ**. الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠٠ (ص ٢٧١).

(22) Besancenot (Jean) : op-cit (planche E : 3).

(23) Besancenot (Jean) : op-cit (planche E : 4).

(24) Besancenot (Jean) : op-cit (planche E :11).

(25) Besancenot (Jean) : op-cit (planche E : 5).

(26) Besancenot (Jean) : op-cit (planche E : 7).

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449